كذب الحِسّ وكذب الحواسّ

يعرض للانسان احياناً ان يرى اشباحاً او يسمع اصواتاً لا حقيقة لها في الخارج ولكنها تتصور لهُ بصورة الحقائق الموجودة فلا يَشُكّ في صحتها وهو من غريب الاسرار المودعة في الفطرة ٠ وربما كانت تلك الاشباح او الاصوات موجودةً في الخارج ولكن الحواسّ تؤدّيها الى المدركة على خلاف صورتها الحقيقية وعلى الحالين يكون العقل مكذوباً اما من قِبَل الحِسّ نفسهِ كما في الحالة الاولى او من قِبَل آلتهِ كما في الحالة الثانية

وكذب الحسّ من الاعراض الدالة على الاختلاط والعتاهة بانواعها الا انهُ كثيراً ما يعرض لأَصحآء العقول لكنهُ اذا تكرر ولزم او كان على وجهٍ يبعد كثيراً عن مقتضى المعقول كان ولا جرم دليلاً على اختلال العقل او مقدّمةً لحدوثهِ واما اذا عرض اتفاقاً او كان غبّ انهماكٍ مفرط في امرٍ من الامور او على اثر شغلٍ عنيف او وجدانٍ شديد التأثير فانهُ يكون عرضاً ثم يزول بزوال سببهِ ٠ على انهُ في كلتا الحالتين لا يكون الا عن اضطرابٍ في احوال الدماغ وتهيجٍ عنيف في العصب وهما كثيراً ما يمرّان بغير أن يؤثرا في العقل اثراً ثابتاً فيكون بمثابة ما يقع من الهذيان في الحمّيات ثم يزول بزوالها

اما حقيقة هذا الشعور وكيفية حدوثهِ فمما اشتغل بهِ الحكمآء في كل عصر وصوّروهُ على اوجهٍ شتى بعضها نسخهُ تبدُّل الآرآء العلمية وبعضها لا يزال محلاً للخلاف والبحث ٠ وقد عرّفهُ المتأخرون بانهُ استحالة الفكر الى

شعور وبعبارةٍ اخرى تمثُّل الصور العقلية بهيئة صورٍ محسوسة . واشهر ما ذكروا في سببهِ يرجع الى ثلاثة اقوال احدها انهُ نتيجة خللٍ عقليٍّ خاصّ يبتدئ بتهيج ٍ دماغيّ ويحدث عنهُ اختلاطٌ في الخيـاليات يؤدّي الى فقد التوازن بين القوى العقلية . والثاني انهُ عملٌ دماغيٌّ محض اي شعورٌ حقيقيٌّ ينشأ بغير وجود مؤثّرٍ في الخارج وحينئذٍ فلا خلل في العقل وانما الخلل في جهاز الحسّ بأن يؤدّي الى العقل صوراً زورية ويحملهُ على ان يحكم احكاماً محالية . والثالث انهُ اثر شعورٍ سابقٍ يتجدد على نفس صورتهِ مع زوال المؤثر فهو نتيجة انقباضٍ في الدماغ بحيث يتمثل لهُ الفكر من غير انفكاك ويكون على هيئة شعور . وهناك اقوالٌ اخر لا ترجع الى حقيقة واضحة ولكن على كل حال فان هذا الشعور لا يتمّ ما لم يكن ثمة خللٌ في اعمال الدماغ بحيث ينفرد التخيل عن الارادة على نحو ما يكون في حالة الذهول والانجذاب وحينئذٍ تعمل المتخيلة من تلقآء نفسها من غير ان يتوجه العقل الى تأمل الصور التي تمثلها والحكم عليها

ومعلومٌ ان بعض المخدّرات كالحشيش اذا استولى على العقل يفعل الفعل نفسهُ وحينئذٍ فمن البيّن ان من ظهر فيهِ مثل آثار الحشيش بدون ان يتناولهُ يكون دماغهُ وجهازهُ العصبيّ في نفس الحالة التي يكون عليها شارب الحشيش اي في حالة التهيج الشديد ولا فرق في ذلك بين ان يكون عن سببٍ طارئ من مثل الاسباب المذكورة قبلاً ام عن اختلالٍ في اعمال الدماغ فهو على الجملة ليس الاّ حالةً مرضيّة او حالةً عقليةً ليست هي الحالة الطبيعية . وهناك مشابهةٌ اخرى بين المشاهدات التي تُرَى في هذه الحال وما يعرض

من مثلها في الحلم مما يدلّ على ان لكلتا الحالتين مورداً واحداً وهو ما ذُكر من انفراد المتخيلة بما تصوّرهُ للعقل وحينئذٍ فهما شيءٌ واحد يصحّ ان يقال فيهِ انهُ حلمٌ في اليقظة او اختلالٌ في النوم . ثم ان المشاهدات المذكورة كثيراً ما تعرض للانسان بعد ان يغمض عينيهِ وقبل ان ينام فيرى اشباحاً غريبة ويسمع اصواتاً باطنة حالة كونهِ لا يزال مستيقظاً يسمع الاصوات التي حولهُ وهي اذ ذاك منزلةٌ بين الاختلال والحلم . وانما يكون ذلك في ساعة غيبوبة التعقل حين يدخل الانسان في حالةٍ ينتقل منها الى النوم ولذلك اذا انتبه فعمد الى تأمل تلك المشاهدات تغيب عنهُ في الحال وهو الدليل على انها من عمل المتخيلة وحدها ولا عمل معها للارادة التي هي مبدأ التعقل وتمييز المدركات .

واكثر ما يقع كذب الحسّ في مدركات البصر والسمع لما انهما اكثر الحواس ايراداً للمحسوسات على الحِسّ المشترَك ولان اثرهما في الدماغ اشدّ ارتباطاً بالصور المحسوسة مما يرد عن سائر الحواسّ . ويكثر حدوثهُ في الاحوال التي يضعف فيها تأثير المحسوسات على الحواسّ الظاهرة كالظلمة والسكون والاغراق في التأملات الباطنة وما اشبه ذلك لان المتخيلة حينئذٍ تخلو بالدماغ وتصوّر لهُ التماثيل المختلفة من غير ان يكون لها ما يعارضها من الحسّ الظاهر . ولذلك ترى بعض الناس اذا انفردوا ليلاً او سافروا في مجهلٍ من الارض تخيلوا اشباح ضوارٍ او لصوص وسمعوا اصواتاً مخيفة ويكثر ذلك عند من تواترت على اسماعهم الخرافات واستحوذت على عقولهم الاوهام والاباطيل فتتمثل لهم اشباح العفاريت والجنّ والغيلان

واشباه ذلك مما اختُزِنَ فيَ خيالهم

واما في مدركات ما سوى هاتين الحاستين فلا يقع مثل ذلك الا في حالة الاختلال العقلي فان المعتوهين قد يشعرون بروائح وطعوم وهمية ويتخيلون احياناً ان يداً تلمسهم او انهم يُضرَبون او يُوثَقون وكل ذلك لا يعرض للاصحآء الا ما كان منهُ نادراً في الحلم وهو مما يؤيّد الشبه بين الحلم والاختلال

واما كذب الحواس فيكون العقل معهُ صحيحاً لان المدركات تكون متحققةً في الخارج ولكنها تتأدّى الى العقل على خلاف ما هي فيحكم بمقتضاها . وكذلك الحاسّة تكون سليمةً ايضاً غير انها تلتبس عليها اعراض المحسوسات اماً لشيء في المحسوس كما تُرَى العصا المغموس طرفها في المآء مكسورةً وكما يُرَى السراب مآء او لشيء في الحاسة نفسها كما يُرَى النجم ذا شعاعٍ متشعب وانما هذه الشُعَب في بلورية العين كما قررناهُ في غير هذا الموضع(١) . واما اذا كانت الحاسة مأوفةً كما يحدث احياناً فساد الذوق لحالةٍ مرضية فيتغير بهذا السبب طعم المَذُوقات وكما يتفق لبعض الناس ان يفقد الذوق والشمّ بتةً او ان لا يفرق بين بعض الالوان كالاحمر والاخضر لم يكن ذلك في شيء مما نحن فيهِ

وكذب الحواس اكثر ما يقع للبصر لاختلاف ما يرد عليهِ من اعراضَ المُبصَرات اذ بهِ يُدركُ اللون والشكل والحجم والمسافة والوضع وغير ذلك . واكثر ما يخطئ البصر في تقدير حجم الاشباح اذا اختلف لونها كما اذا

---

(١) مجلد السنة الاولى ص ٦٧

كان احد الشبحين ابيض والآخر اسود او قريباً منهُ فان الابيض يُرَى اكبر حجماً وعلتهُ انتشار النور عنهُ حتى كانهُ يفيض عن اطرافهِ وبعكسهِ الاسود ولا سيما اذا كان محاطاً ببياض فان البياض الذي حولهُ يسطو عليهِ حتى كانهُ يأخذ شيئاً من اطرافهِ . ولهذا السبب نرى الهلال في اوائلهِ اطول عند طرفيهِ مما يليهِ من القسم المظلم المنعكس اليهِ نور الارض ونرى بعض النجوم اكبر من بعض تبعاً لشدة ضوئها حتى نتوهم ان لبعضها قطراً محسوساً مع انها تُرى جميعاً بالمِرقب (التلسكوب) اشبه بنُقَطٍ هندسية . وبهذا الاعتبار كان المتقدمون يقدّرون اقطار السيّارة اعظم مما هي فان تيخو براهي مثلاً كان يقدّر حجم الزُهرَة اكبر مما هو باثني عشر ضعفاً وكان كپلر يقدّرهُ اكبر بسبعة اضعاف ولكن لما اختُرعت المناظير امكن ان يُرَى كلٌّ من السيّارة والثوابت على حجمهِ النسبيّ لانها قلّت كثيراً من انتشار النور وان لم تقطعهُ بالمرّة

وهناك امرٌ آخر وهو اننا نرى الشمس والقمر وصُوَر الكواكب عند الافق اعظم مما تُرَى بعد ارتفاعها مسافةً في السمآء وهو من الامور التي لم يتوصلوا الى بيان علتها على وجهٍ يكفل بالاقتناع ولكنهُ على كل حال راجعٌ الى خطأ البصر لأن الكبر والصغر في مرأى الشبح الواحد انما يتأتيان عن القرب والبعد وليس في مسافة الشمس والكواكب ما يظهر فيهِ مثل هذا الفرق . على انهُ لو كان هذا مما يؤثر في منظرها لوجب ان تُرَى عند الافق اصغر لأنا لو قسنا القمر وهو عند الافق ثم قسناهُ وهو في السمت لوجدنا قطرهُ عند الافق اصغر بنحو $\frac{١}{٦٠}$ من قطرهِ في السمت لانهُ حينئذٍ

يكون ابعد عن الناظر باربعة آلاف ميل التي هي قياس نصف قطر الارض

ومن كذب البصر ان تظهر الالوان على غير ما هي وهو محمولٌ في الغالب على تعب الشبكية وذلك كما اذا وُضع امام العين لونٌ احمر ونظرت اليهِ مدةً فإن الجزء من الشبكيـة المتأثر بالاحمر يستمرّ بعد ذلك حيناً لا يشعر بهذا اللون فاذا عُرض على العين والحالة هذه رقعةٌ بيضآء فان هذا الجزء منها لا يبصرَ الا اللون المتمّ للاحمر فيظهر ما يقع عليهِ من لون الرقعة اخضر . ومثلهُ ما اذا كتب الانسان مدة ساعةٍ او نحوها بالحبر الاحمر ثم نظر بعد ذلك الى صحيفةٍ مكتوبة بالحبر الاسود فانهُ يراهُ اخضر . ومما يعسر تعليلهُ في هذا المقام انهُ اذا وُضع لونان مختلفان احدهما بجانب الآخر لا يُبصَران كما لو وُضع كلٌّ منهما وحدهُ ولكن يُرَى كلٌّ منهما كانهُ قد اضيف اليهِ شيءٌ من متمّ الآخر وعليهِ فاذا وُضع الاحمر بجانب الاخضر ظهر الاحمر اشدّ حمرةً والاخضر اشدّ خضرةً واذا وُضع الاحمر بجانب الازرق يميل الازرق الى الاخضر والاحمر الى النارنجي

وامثلة كذب البصر كثيرة منها في اللون ومنها في الحجم او الشكل او غير ذلك مما ذُكر فلا نطيل بها . وعلى كذب البصر بُنيت صناعة التصوير وتمثيل ما في الاشباح من دقائق الاجزآء الشاخصة والغائرة المقوّمة لاشكال الاجسام واليهِ المرجع في كل ما يُرى من الصور البديعـة الصنع التي يتنافس بها المصورون وتُبذَل فيها الالوف من الدنانير . وليس منا الا من رأى منها ما هو بالغٌ اتمّ مبلغٍ من استحكام الصنعة حتى قد يتوهم الرسوم المصوَّرة اشباحاً مجسَّمة وانما هي كذلك عند الباصرة وأما عند

اللمس فليست الأطلية ساذجة على الواح بسيطة . وقس على ذلك ما يتعاطاهُ بعضهم من الشعوذات المختلفة مما حير عقول الاغرار وأوهمهم وجود السيمياء والطلاسم الى غير ذلك

اما كذب بقية الحواس فهو اقلّ كثيراً لقلة ما يقع في محسوساتها من الاشتباه وهو لا يكاد يعرض الا للسمع واللمس وذلك كما اذا احتجبت جهة الصوت وردَّهُ الصدى من جهةٍ اخرى فان السامع يتوهمهُ صادراً من تلك الجهة . ويقرب من هذا الايهامُ الذي يفعلهُ المتكلم من جوفهِ فيوهم السامع ان المتكلم غيرهُ . وكما اذا وضع الانسان يدهُ في ماء حارّ ثم غمسها في ماء فاتر فانهُ يشعر بذلك الماء بارداً . والى مثل هذا السبب يرجع ما نجدهُ من برد ماء الينابيع في الصيف وفتورهِ في الشتاء مع ان درجة حرارتهِ في الحالين واحدة . وفي جميع ما ذُكر لا بدّ لادراك حقيقة المحسوس من الاستعانة بحاسةٍ اخرى او الرجوع الى قياس العقل او التجربة وعلى كل حال فالعقل هو قاضي محكمة الحواس واليهِ ينتهي الفصل في كل ما يُعرَض عليهِ منها فاذا عُزل عن منصّتهِ او ضلّ في حكمهِ لم ينفع بعضها شهادة بعضٍ ولم يُوثَق منها بحكمٍ صحيح

العلم في الصناعة

بقلم حضرة الكاتب نجيب افندي الشوشاني

من الحوادث الاقتصادية الخطيرة التي يسطرها التأريخ للزمن الحالي ما احرزتهُ المملكة الالمانية في حلبة الصناعة من اخطار السبق وقصب الرهان

بحيث ادهشت العالم باسرهِ واضحت تزاحم اعظم الممالك صناعةً وعلى الخصوص مملكة انكلترا ربّة الصناعة والتجارة في سائر الاقطار والفضل في ذلك راجع الى العلم الذي اشركتهُ في صناعتها واعتمدت عليهِ في سبيل ما بلغت اليهِ من اتساع الثروة وامتداد ظل التجارة

وليس ارتقآء المانيا هذا السريع مولود يومهِ وابن ساعتهِ او كالنبات الذي يشبّ سريعاً فيزهر ويثمر ثم لا يلبث ان يذبل ويجف فالشعب الالماني يشتغل بالصناعة اشتغالهُ بالعلم ويشتغل بالاثنين مثلما يحارب متأنياً حاسباً مدققاً متثبتاً واثقاً من نفسهِ بما خصهُ الله بهِ من مميزات العقل وصفات الثبات والصبر على البحث والتوفيق بين النظر والعمل وغير هذا مما هو مأثورٌ عنهُ ومعروفٌ بهِ

ومعلومٌ ان المبادئ العلمية الالمانية لها اليوم منزلة عظيمة في عالم العلميات وليس ذلك لانهُ لم ينبغ في غير المانيا من العلمآء امثال الذين نبغوا فيها بل لان الالمانيين عرفوا كيف ينتفعون من عقول علمآئهم ولأن العلمآء قد قرنوا العلم بالعمل فالعالم لا يكون عالماً عندهم الا اذا كان عاملاً صانعاً والطلبة الذين يتلقون العلم في المدارس العالية والمختبَرات المختلفة يزاولون مع كل علم الصناعة المتعلقة بهِ ويتمرنون على ذلك شأن الصانع في تعلّم صنعتهِ

وقبل ان نبغ بستور في فرنسا لم يكن الفرنسويون يتفطنون لهذه القاعدة بل كان المتعلم للكيميآء يتعلمها ليستطيع تدريسها مثلاً او التأليف فيها وكذلك الفلسفة الطبيعية وغيرهما من العلوم . ومزية هذه القاعدة انها تجمع بين العلم والعمل في وقت واحد ولا يخفى ما في ذلك من سرعة الوصول الى الغاية

المطلوبة والاهتدآء الى ما لم يكد يخطر بالبال لان الصنّاع كلما امعنوا في البحث والتنقيب وجعلوا العلم دليلهم في طريق التقدّم وساعِدهم الايمن في كيفية العمل عثروا على طرائق مستحدثة واكتشافات خطيرة وجآءوا بمصنوعات احسن واتمّ ولذلك كان اكثر اصحاب المعامل الالمانية يضيفون الى معاملهم مختبرات علمية يأوي اليها العلمآء يبحثون ويشتغلون ويستنبطون طرائق تستخدم في الصناعة فتزيدها اتقاناً وارتقاءً

وايضاحاً لما تقدم نورد قول المسيو هلر الفرنسوي قيّم المختبَر الكيماوي في نانسي من تقريرٍ لهُ بحث فيهِ عن حالة الصناعة الكيماوية وجعل اكثر بحثهِ في بيان السبب الذي تقدمت بهِ هذه الصناعة في المانيا فذكر ان اعظم سبب في ذلك هو ان اساتذة الكيميآء في المدارس الالمانية العالية هم الادلآء في سبيل انجاح الصناعة وان كل واحد من المعامل الكبيرة قد اضيف اليهِ مختبرٌ حافلٌ بالعلمآء العاملين . ومن جملة ما ذكرهُ ان صناعة الطيوب بعد ان كانت منحصرة في استخراج الروائح من الازهار والرياحين وعصير بعض النباتات توسّع فيها الالمانيون ففاقوا الفرنسويين الذين كانت لهم فيها اليد الطولى . واورد شاهداً على قولهِ معمل شيمال وشركائهِ في ليبسك فقال ان في هذا المعمل عشرة كيماويين يشتغلون على نفقتهِ الخاصة وان اثنين منهم يقيمان في شعبةٍ لهُ انشأها في غرفلد بالقرب من نيو يرك وكلهم علمآء وارباب صناعة معاً لا يفترون عن البحث والتجارب . وقد اتخذ المعمل المذكور في ليبسك ارضاً مساحتها سبعون هكتاراً (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) يزرع ثلاثون منها ورداً والاربعون الاخرى نباتات

مختلفة وهذه المزروعات الواسعة تابعة للمختبرات التي في المعمل تُمتحَن فيها زراعة النباتات اللازمة لاستخراج الطيوب وبعد امتحانها في المختبرات يقرر العلمآء الكيفية والكمية الواجبتين للعمل ويتفننون بما يفتح البحث عليهم من الاكتشافات وتنتجهُ التجارب من تحقيق الرغبات

ولا بأس من ان نعقّب على قول المسيو هلر المتقدّم الذكر فنورد شاهداً آخر من هذا القبيل وهو معمل المجاهر (المكرسكوبات) وسائر انواع الآلات البصرية الكائن في مدينة يانا من اعمال المانيا المعروف بمعمل كارل زَيس وهو اليوم اعظم معامل الدنيا من نوعهِ . وقد كان كارل زَيس في اول امرهِ عاملاً ميكانيكيًا فانشأ سنة ١٨٤٦ مصنعاً صغيراً في يانا لاصلاح الآلات المختصة بتعليم الفلسفة الطبيعية فاتصل بهذا السبب باساتذة المدرسة الكلية في المدينة المذكورة واخذ عنهم شيئاً من العلم استعان بهِ على التفنن في حرفتهِ ثم شرع يصنع الزجاجات البصرية والعدسيات ثم المجاهر وفي سنة ١٨٦٦ بلغ من ذلك مبلغاً كان يناظر بهِ اشهر الصناع الفرنسويين . الآ ان نفسهُ الكبيرة لم تقف بهِ عند هذا الحد من البراعة في الصنعة اليدوية بل دفعتهُ الى الوقوف على اسرارها العلمية فعكف على دراسة الرياضيات ولم يلبث ان لحظ ان صنعتهُ في تقصير عظيم فتمثل اموراً كثيرة في خاطرهِ الآ ان معلوماتهِ العلمية لم تكن كافية لتحقيق امانيهِ فاستعان بالاستاذ « أب » رئيس تدريس الفلسفة الطبيعية في كليّة يانا المذكورة وادخلهُ شريكاً في مصنعهِ . وكان كلاهما يريان ان الطريقة القديمة في صنع المجاهر لم تكن وافية بالمرام فتصوّر الاستاذ أب طريقةً اخرى اقتضت تغيير اكثر ادوات المصنع

وبذل النفقات الطائلة وبعد البحث والامتحان الطويلين تبين لهما ان الزجاجات البصرية المعروفة الى ذلك الوقت لم تكن تساعد على اتمام مايسعيان اليهِ فانشأا مصنعاً خصوصياً لصنع الزجاجات وحدها واضطرّ الاستاذ أب ان يشرك عالماً آخر كيماويّاً في عملهِ وهذا اشرك معهُ غيرهُ من الكيماويين واذ ذاك عينت الحكومة البروسيانية مبلغ ثلاثين الف دولر في السنة سدًّا لنفقات المصنع . الاَّ انهُ لم يمرّ على يوم انشائهِ ما يقرب من السنتين حتى تمّ للقائمين بهِ ما كانوا يسعون اليهِ من الوصول بالمجهر الى ما هو عليهِ اليوم وعند ذلك اتسع نطاق المعمل وذاع امرهُ وصارت الارباح تنهال عليهِ من كل جانب فلم يعد في حاجةٍ الى اسعاف الحكومة لهُ فتنازل لها عنهُ . على انهُ لم يُقتصر فيهِ بعد ذلك على صنع زجاجات المجهر وحدها فقد صُنعت فيهِ اخيراً زجاجةٌ شبحية لمكبّرة فلكية بقطر مئة وخمسة وعشرين سنتيمتراً

على ان ما ابنّاهُ لم يكن السبب الوحيد في تقدّم الصناعة الالمانية بل ثمّ امرٌ آخر لا يقلّ اهميةً عنهُ وهو شرائع البلاد التجارية فان قانون التجارة في المانيا قد فاق اليوم قوانين سائر الدول اتساعاً وضبطاً وبُعد نظر وقد جرت اصحاب المصانع في سياسة العمّال على سُنَن من النَصَفة والمساواة والانسانية هي من اعدل السنن وضعاً واحسنها وقعاً وكان البادئ بوضع هذه السنن واقامة قسطاس العدل بين الخادم والمخدوم الاستاذ أب السابق الذكر فانهُ تولى معمل زَيس بعد وفاتهِ مدةً من الزمن ولفرط شغفهِ بالانصاف أحب ان يجعل المعمل كبيتٍ واحد لأُسرة كبيرة فأنشأ للادارة مجلساً لا يزيد اعضآؤهُ عن الاربعة ومجلساً آخر ينتخب اعضآءهُ العمال البالغون الثامنة

عشرة من العمر فما فوق وهذا المجلس يُعاد انتخابهُ في كل سنة وتُستأنف اليهِ العقوبات التي يقضي بها القيّمون والمسيطرون على العمال فيفصل فيها محكمون من اهل الخبرة . ثم ان اوقات العمل معينّة بعدل والاجور موزعة بانصاف ولكل عامل سنةٌ من الثامنة عشرة فما فوق ايام راحةٍ تُمنَح لهُ في كل سنة والذين يُدعون الى الخدمة الجندية وهم في العمل لهم حق الرجوع اليهِ بعد انقضآء خدمتهم . وفضلاً عما تقدّم فالارباح السنوية اذا زادت عن مقدارٍ معين يوزَّع قسمٌ من الزيادة على العمال الاّ ان ذلك منوطٌ بارادة اصحاب المعمل وليس حقاً من حقوق العمال . وفي المعمل صندوقٌ خاص يُنفق من ريعهِ على الذين يصابون من العمال بالامراض والنكبات واصحاب المعمل يجرون رزقاً على ايتام العمال واراملهم بقدر ما تسمح بهِ الاحوال . ومن جملة احكام هذا النظام ان لا يُصرَف (يُرفَت) احد من الخدمة الاّ اذا اقترف ذنباً والذي يُصرَف لعدم توفر عملٍ لهُ يُنقد تعويضاً مالياً على نسبة اجرتهِ والزمن الذي يكون قد قضاهُ في الخدمة وهذا التعويض لا يكون اقل مقداراً من اجرة نصف سنة . واذا توقف المعمل الى حين لعلّةٍ من العلل فكل العمال فيهِ ينقدون اجورهم عن آخرها بشرط ان لا يغادروا البلدة في اثنآء تلك المدة وان يكونوا في كل ساعةٍ قادرين على تلبية اصحاب المعمل اذا دعوهم الى العمل . وقس على ما تقدّم اموراً كثيرة تختص بادارة المعمل الداخلية مما جرى عليهِ غالب المعامل في المانيا وربما زاد البعض فيهِ او نقص منهُ ولكن الجميع متفقون على ان الرئيس يعامل مرؤوسهُ بانصاف وعدل وان كلاً من الفريقين يعلم ما عليهِ من الواجبات وما لهُ من الحقوق

فيعملون بما تقتضيهِ هذه القاعدة الاساسية والشعب الذي يكون دليلهُ العلم ومركبهُ العدل فبشرهُ بنجاحٍ عاجل وفوزٍ مبين

الجبابرة والنُغاشيون

من غرائب فلتات الطبيعة ما يُرى احياناً من طول قامات بعض الناس أو قصرها الى ما يتجاوز حدّ الاختلاف المألوف في ذلك حتى كأن بعضهم هابطٌ الينا من المرّيخ او القمر والبعض الآخر هابطٌ من المشتري او زُحَل فيمن يزعم ان طول القامة وقصرها يترتبان على مقدار الجاذبية في الاجرام

وقامات البشر تتفاوت على الجملة من متر و ٣٠ سنتيمتراً الى متر و٩٠، ومتوسطها يتردد بين متر و ٦٠ سنتيمتراً ومتر و ٧٠ ، . واكثر ما تكون القامات الطويلة في الاقاليم الباردة التي بردها محتمل واشهر ما يُذكر منها في نواحي پاتاغونيا الواقعة في جنوبي شيلي والجمهورية الفضية وفيها اطول الناس قاماتٍ ويقال ان طول الرجل فيها قد يفوت المترين ويليها في ذلك نواحي اسوج وفِنلَندا والسكس من جهة الشمال . والقامات القصيرة تكون على الغالب في الاماكن المجاورة للقطب الشمالي كقبائل الاسكيمو واللاپون وربما كان منها في بعض النواحي الحارّة كبعض جهات افريقيا الجنوبية مما يلي خط الاستوآء. واما الاقاليم المعتدلة فالغالب على اهلها التوسط في القامة وهذا مما يدلّ على ان لدرجة الحرارة تأثيراً في عظم الاجسام ودمامتها ولكن لا شك ان نوع المعيشة ايضاً يؤثر فيها لان سوء الغذآء وشظف العيش

وقذارة المسكن ومعاناة المشاقّ ولا سيما في زمن الحداثة كل ذلك مما يثبّط نمآء الاجسام ويقصع شبابها ويورثها العاهات والاسقام وبخلافهِ الراحة والنعيم وخصب المعاش واتقآء العوارض المضعفة فانهُ مما يساعد على استيفآء الجسم حقهُ من البسطة والقوّة حتى ان ابنآء المترفين يسبقون في الغالب ابنآء الصعاليك في تمام الجسم وبلوغ سن الحلم

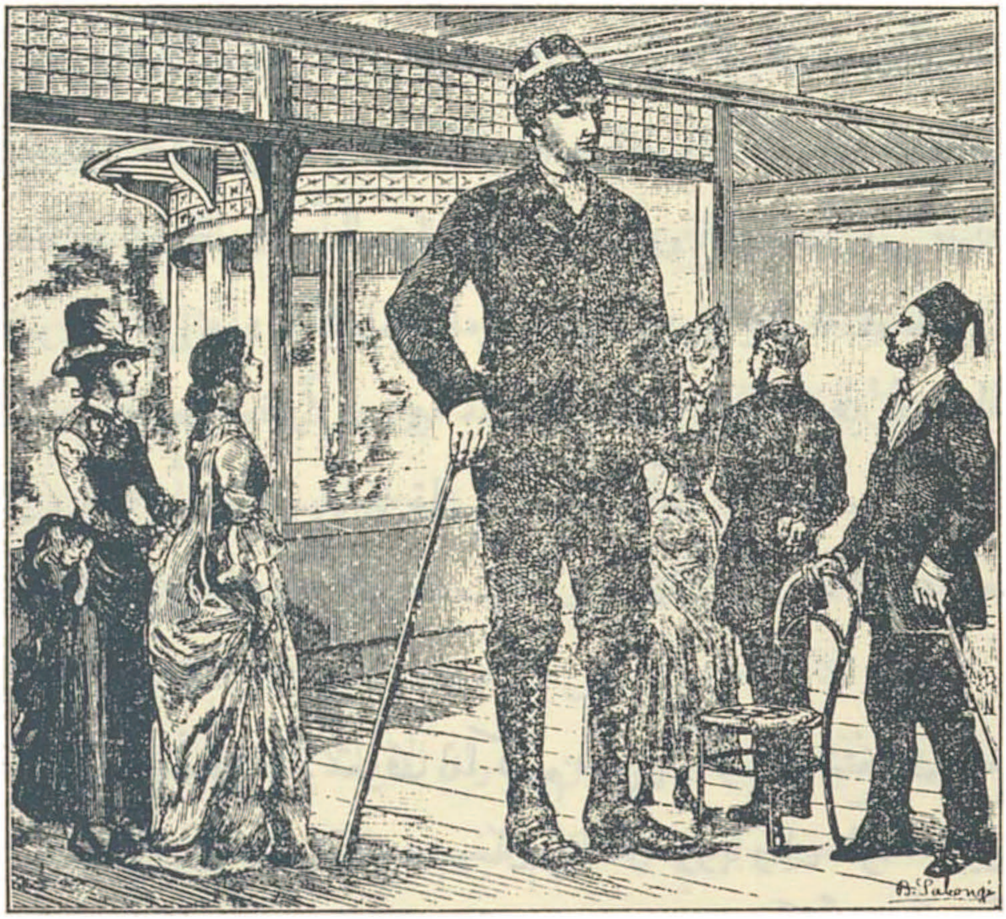
على ان ما ذكرناهُ من قياس قامات البشر لا يختصّ بالاقاليم المشار اليها لانهُ فضلاً عما ذكر من الاسباب فان للسلالة يداً في ذلك كما في سواهُ من مميزات اللون والملامح وغيرها ولذلك ترى الناس في كل بلادٍ تختلف قاماتهم فيكون منهم الطويل والقصير وما بينهما مما لا يدخل تحت ضبط ولكنهم على الجملة لا يتجاوزون الحد المذكور طولاً وقصراً . غير انهُ قد يشذّ منهم من يفرط في الطول حتى يبلغ الى مترين ونصف أو فوق ذلك أو يفرط في القصر حتى لا يبلغ الى نصف متر وكلاهما من نوادر الخلق لا يُرَى منهم الا الآحاد في بعض البلاد وقد يمضي القرن بتمامهِ ولا يوجد من الفريقين في جميع المعروف من العمران الا ما لا يتعدى اصابع اليدين . وهؤلآء لا يختصون بجيلٍ ولا اقليم لانهم من قبيل الشذوذ على حدّ من يولد بيدٍ أو بعينٍ واحدة او من يولد اعنش اي بستّ اصابع او يكون ملتصقاً بغيرهِ الى غير ذلك مما يُعَدّ من فلتات الخلق وان رُدّ الى اسبابٍ طبيعية كما هو مذهب المحققين

ويسمّى الطويل المفرط الطول بالجبّار قال في تاج العروس قال اللحياني بهِ و فُسّر قولهُ تعالى ان فيهـا قوماً جبّارين قال اراد الطول والقوّة والعِظَم

وهو مجاز قال الازهري كأَنهُ ذهب الى الجبّار من النخل وهو الطويل الذي فات يد المتناول اه . ويسمى ضدهُ بالنُغاشي بالضم ويقال فيهِ النُغاش ايضاً وهو القصير من الرجال اقصر ما يكون . والمشهور اليوم من الجبابرة ستة منهم فتىً كَنَدَيّ فرنسويّ عُرِض في الصيف الماضي في معرض بوفالو يقال لهُ ادوار بُوپرّاي عمرهُ ١٨ سنة وطولهُ متران و ٣٤ سنتيمتراً . وقد أُخذ قياس إعضائهِ فكان طول رجلهِ من الارض الى أعلى الفخذ متراً و٧٢، وطول قدمهِ ٤٣ سنتيمتراً وطول كفهِ ٢٨ ووزنهُ ١٩٤ كيلغراماً . ومنهم واحد في فرنسا يقال لهُ هوغُو مولود في سآن مرتين بالقرب من نيس طولهُ متران و ٢٩، ووزنهُ ٢٠٤ كيلغرامات . وآخر في سويسرا يقال لهُ قسطنطين عمرهُ ١٩ سنة وطولهُ متران و ٢٤، . وآخر في المانيا يقال لهُ هيَرلْد طولهُ متران و ١٩، . وآخر في باڤاريا يقال لهُ أُسوَلد بالّين عمرهُ ٢٤ سنة وطولهُ متران و ١٩، ووزنهُ ١٤٨ كيلغراماً . وفتاةٌ في انكلترا يقال لها اللادي أَما طولها متران و ١٩،

اما الذين تُوفُّوا او لا تُعرَف اماكنهم فمن يُذكر منهم شَنْغ يَت سِنغ وهو صينيٌّ ورد باريز سنة ١٨٧٨ وجال في سائر اوربا وكان طولهُ مترين و٣٢، وقيل مترين و ٤٩، وكان بخلاف هذه الطبقة كلها ذكيّاً متعلماً عارفاً بعدّة لغات . ومنهم فتًى يوناني عُرِض في انكلترا سنة ١٨٨٦ اسمهُ اماناب ولد سنة ١٨٦٨ بناحية طرابزون وكان طولهُ مترين و ٣٦، ومحيط رأسهِ ٦٨، ومحيط جسمهِ عند صدرهِ لا يقلّ عن متر و ٣٤، . ولم يكن يتعاطى حرفةً سوى ان يجول في عواصم اوروبا يعرض منظرهُ ويتكسب بهِ وهو

الذي ترى صورتهُ في الرسم . ومنهم بوّاب كان عند دوك وُرتمبَرْغ بالمانيا طولهُ متران و٤٧ ، . ويقال ان الامبراطور مكسيمين الروماني كان طولهُ مترين و ٥٠ ، وكانت فيهِ قوّةٌ عجيبة حتى كان يقتلع الشجرة العظيمة ويطحن الحصى الصلبة بين اصابعهِ ويرفس الحصان على فخذهِ فيكسرها .



واطول من ذُكر من هؤلآء الجبابرة رجلٌ اسود من الكنغو رآهُ فندر برُوك طولهُ متران و٦٠ ، ويقال ان في لندرا في رواق الجمعية الطبية جثةً محفوظة طولها ٨ اقدام و ٩عقَدونصف اي نحو مترين و ٦٨ ،وهي جثة رجلٍ ارلندي اسمهُ شارلْ بِيرْنْ توفي ١٧٨٣ وعمرهُ ٢٢ سنة

قيل والجبّارون لا يكونون في الاكثر الا ضعفآء المُنّة ثقال الحركة منخوبي القلوب خلافاً لما اشتهر عنهم او لما يتبادر منهم وقلما يكونون مع ذلك الا بلدآء العقول وعلى الغالب يسرع اليهم الهرم ولا يعيشون طويلاً . وابن الجبار لا يأتي جباراً مثلهُ ولكن يكون كسائر الناس على انهم كثيراً ما لا يولد لهم

اما النُغاشيون فمن يذكر منهم واحدٌ اسمهُ جان فرّي كان طولهُ في السنة السادسة عشرة من عمرهِ ٧٨ سنتيمتراً وادرك الحلم في سن السابعة عشرة وبقي نموّهُ يزداد الى الثامنة عشرة فبلغ ٨٩ سنتيمتراً واذ ذاك تزوج بنغاشيةٍ مثلهِ تسمى ترّيز سُوفرّاي لكن لم يولد لهما وما لبث بعد ذلك ان ظهرت فيهِ امارات الشيخوخة والعجز وتوفي في سن ٢٣ . ومنهم واحدٌ يسمى بُورُسْلَسْكي من پولونيا وهو اقصر من جان فرّي بلغ في الثانية والعشرين من عمرهِ ٧٥ سنتيمتراً وكان يحسن الخط والحساب ويتكلم بعدة لغات ويرقص رقصاً بديعاً ويعزف بالشبّابة والكمنجة . وكان لهُ اربعة اخوة لم يكن اكبرهم يفوتهُ الا بثلاثة سنتيمترات ولهُ اختٌ لم يزد طولها على ٥٧ سنتيمتراً واما الاخوة الثلاثة الباقون فكانوا تامّي القامات يبلغ الواحد منهم متراً و٨٠ سنتيمتراً . واغرب النغاشيين واحدٌ كان يسمى پيّار بّرسكي وهو ابن رجل قوزاقي طولهُ ٧٨ سنتيمتراً عاش ٣٠ سنة ولم يكن لهُ يدان وكانت رجلاهُ ملتحمتين من عند الركبتين ولكل قدمٍ منهما اربع اصابع ومع ذلك فقد كان سريع المشي وكان يكتب برجلهِ اليسرى كتابةً واضحة بالروسية واللاتينية ويرسم بالحبر الصيني وكان من اشهر لاعبي وقتهِ بالورق

والشطرنج . وكان في محفوظات برخ جثة نغاشيٍ طوله ٤٣ سنتيمتراً مات في سن ٣٧ وهو اقصر من ورد ذكرهُ من هذه الطبقة واذا قايست بينهُ وبين آخر من ذُكر من الجبابرة تجدهُ يبلغ اقلّ من سدسهِ والله يخلق ما يشآء وهو المبدع الحكيم

قصيدة عصريَّة

في وصف سوق احسان اقامها العذارى الاسرائيليات في الاوتل كونتيننتال بمصر
من نظم حضرة الفتى الاديب رشيد افندي المصوبع

حيِّ في مصرَ اربعَ الغاداتِ ومغاني الحسان والحسناتِ
اربعٌ قد حوينَ كل جميلٍ من صنيعٍ وأوجهٍ سافراتِ
تجارى الفتيانُ فيها الى البذ لِ باغرآءِ اعينِ الفتياتِ
آنساتٌ صيَّرنَ من كان في القو م بخيلاً يجودُ بالمكرماتِ
يستبيهِ لحظ الحسان فلا يلـ بث ان يبذل اللُّهى والهباتِ
كلُّ خَوْدٍ للسحر في مقلتيها عُقَدٌ قد خلبنَ بالنفثاتِ
اخذت للفقير منا زكاةً قابلتها من حسنها بزكاةِ
وغدا الزهر غاليَ السعر اذ قد كان يُعطى من تلكم الراحاتِ
يُنثر الوردُ حولنا من يديها فنخال الخدود منتثراتِ
وتُعيرُ النسيم من صدرها أنـ فاس طيبٍ نردُّها زفراتِ
فاتناتٌ تسير بالعزّ والاجلال حتى تخالها ملكاتِ
علمت انها شوادن عسفا ن فسارت تتيهُ مفتخراتِ

لابساتٌ من الجمال بروداً وبروداً بالحسن متّشحاتِ
من حريرٍ على المعاطف يغشا هُ حرير الغدائر المسبلاتِ
ملكاتُ الجمال من ذهب الشعر م عقدنَ التيجان للهاماتِ
ونفيسُ الالماس رُصّعَ في ألها م كقطر الانداء في الغدواتِ
وتلوح القاماتُ والزهرُ في أيـ دي العذارى كأغصنٍ مزهراتِ
ان يفتها طير الاراكِ فقد كا نت عليها قلوبنا طائراتِ
يا لها ليلةً انيرَ دُجاها بشموسٍ في افقها طالعاتِ
والمصابيح حولهنّ تبدّت كبدورٍ قد انجلت في الكراتِ
وتخال المقام منبت بانا تٍ لما فوقهُ من القاماتِ
تتبارى الاعطاف ميلاً مع الاعـ طافِ حتى تخالها سابحاتِ
وفؤادُ المفتون يخفق من وجـ دٍ خفوق الاعلام والراياتِ
سوقُ حسنٍ للعاشقين وسوقٌ من جميلٍ للبائسين العفاةِ
انشأتها ايدي الكواعب منهنّ م ويا حسنهنّ من منشئاتِ
ما كفتنا محاسن العِين حتى ملكتنا الحسان بالهمّاتِ
هكذا يُجعل الجمال لفعل ألـ خيرِ لا للخلاب والمنكراتِ
هكذا تُشفق الحسان وتغدو للذي رام قربها قاسياتِ
هكذا يُكرَمُ المتيّمُ بالور دِ ولكن يحمى عن الوجناتِ
هكذا تلتقي العواتق في مو عدِ خيرٍ يفرّج الأزماتِ
هكذا فلتكُ الكواعبُ اعوا ناً على البرّ لا دُمى حاناتِ
هكذا يُعرَض الجمال محلّى بجميل الافعال والغاياتِ

أجمل اللهُ حال من عضّهُ الفقـ ـرُ كإجمال سـعي ذي الآنساتِ
وجمال النسآء مثل ذكآء الـ ـمرءِ يأتي بالنفـع والـبركـاتِ
صاحِ هذا الزمان عصرُ الغواني كل سوقٍ تروج بالغـانياتِ
كان ذاك الجمال يشفع في حا لِ اخي البؤس لا قلوبُ السراةِ
حبذا العصر عصر نورٍ بهِ الاحـ ـسان يجنى من العيونِ اللواتي
فأرتنا الآدابَ في عصرنا الزا هرِ مثل العلوم مخترَعاتِ
أجزل اللهُ أجرَ من قمنَ بالبرِّ حنـاناً من تلكمُ المحسناتِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الجواب على الاسئلة الآتية

(١) يُضرَب المثل بندامة الكسعيّ فمن هو الكسعي هذا وما خبره

(٢) سمعت بعضهم يقول ان لفظة « اغلاط » لا توجد في اللغة وقد تكررت هذه الكلمة في ضيائكم وكثير من المجلات والجرائد فما قولكم في ذلك

(٣) هل من الممكن استعمال لغةٍ واحدة في مشارق الارض ومغاربها واذا كان ذلك فأيّ اللغات احرى بهذا الاستعمال محمد عبد الحميد

الجواب — اما الكُسَعيّ (بضمٍ ففتح) فهو رجلٌ من الكُسَع حيٍ من قيس عيلان وقيل من بني كُسَيعة اسمهُ محارب بن قيس وكان من حديثهِ انهُ رأى قضيباً من الشوحط نابتاً في صخرةٍ فقطعهُ ونحت منـهُ

قوساً واتخذ من بقيتهِ خمسة اسهم وخرج ليلاً الى قُترةٍ لهُ على موارد حُمُر الوحش (القترة المكان الذي يختبئ فيهِ الصياد حتى لا يراهُ الصيد) فرمى عيراً منها فأنفذهُ ووقع السهم على صوّانةٍ فأورى اي اخرج شرراً فظنهُ اخطأ . ثم وردت الحمر ثانيةً فرمى واحداً فكان كالذي مضى وتكرر معهُ ذلك الى الخامسة فكان كذلك فقال

ابعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدَّها احملُ قوسي واريدُ ردَّها

والله لا تسلمُ عندي بعدَها

ثم خرج من قُترتهِ حتى بلغ صخرةً فضرب قوسهُ بها حتى كسرها ثم نام الى جانبها فلما اصبح نظر الى نبلهِ مضرّجةً بالدمآء والى الحُمُر مصرّعةً حولهُ فندم على كسر قوسهِ وعضّ ابهامهُ فقطعها ثم انشأ يقول

ندمتُ ندامةً لو أنَّ نفسي تطاوعني اذن لبترتُ خمسي

تبيَّنَ لي سفاهُ الرأي مني لعمر الله حين كسرتُ قوسي

فصار مثلاً لكل من يندم على فعلٍ فعلهُ قال الفرزدق

ندمتُ ندامة الكُسَعيّ لما غدت مني مطلّقةً نوارُ

واما ما سمعتم من ان لفظة « اغلاط » لا توجد في اللغة وبعبارةٍ اخرى ان كلمة غلط لا تُجمع لانها مصدر فهو قول من سمع ان المصدر لا يجمع فوقف عند ما سمعهُ . وقد اذكرنا هذا الاعتراض حديثاً رواهُ ابو القاسم العريف قال دخل المتنبي على جعفر بن الفرات الوزير وعندهُ رؤسآء بلدتهِ وشعرآؤها وفيهم ابو عليٍّ الآمديّ اللغويّ فرفعهُ واكرمهُ ثم قال يا ابا الطيّب هذا الشيخ ابو عليّ الآمدي فقال ما اعرفهُ . فغضب ابو عليّ . ثم

انشد المتنبي قصيدتهُ التي مطلعها « انما التهنئاتُ للاكفاءِ » فقال الآمدي كيف جُمعت التهنئة وهي مصدر والمصدر لا يُجمَع . فقال المتنبي الى بعض اصحابهِ الذي يليه ِ قال اسلمْ هو . فقال يا سبحان الله هذا الشيخ ابو عليّ الآمدي وتقول فيه ِ مثل هذا . فقال أليس يصلي فيتشهّد فيقول « التحيات والتسليمات » فخجل الآمديّ ولم ينطق بكلمة . انتهى

وانما يمتنع جمع المصدر اذا اريد بهِ معنى الحدث مجرداً اذ هو للحقيقة المشتركة بين القليل والكثير كما قررناهُ في غير هذا الموضع فلا يكون لجمعهِ معنى ولكن اذا اريد بهِ النوع كالاسقام والاهوآء والبيوع والعقود او جُعل اسماً لمدلولهِ مجرداً عن ارادة معنى الحدث كالاحقاد والاشواق والأشجان والأطراب وكل ذلك واردٌ في كتب اللغة جمع كبقية الاسمآء . وقد تقدم لنا مزيد بيانٍ في هذه المسئلة في مجلد السنة الاولى من هذه المجلة (ص ٣١٠) فراجعوهُ

بقي النصّ على لفظة « اغلاط » بخصوصها وهو ما صرّح بهِ صاحب تاج العروس وعبارتهُ بالحرف « ويُجمَع الغلط على اغلاط قال ابن سيده ورأيت ابن جنّيّ قد جمعهُ على غِلاط قال ولا ادري وجه ذلك » . اه . فنصّ لهُ على جمعين احدهما على أفعال وهو القياس في جمع فَعَل بفتحتين والآخر على فِعال بالكسر وكأنّ ابن جني حملهُ على مثل جَبَل وجِبال وهو ما التبس على ابن سيده . ثم ان صاحب المزهر عنون النوع الخمسين من كتابهِ بقولهِ « معرفة اغلاط العرب » وكرر هذه اللفظة غير مرة في الفصل المذكور نقلاً عن ابن جني وبهذا القدر في هذا المقام كفاية

واما استعمال لغة عامة فمما اخذ علمآء اوربا منذ سنين يبحثون فيهِ وقد وضع اناسٌ منهم الفاظاً .واحكاماً لهذه اللغة على عدة انحآء لم يقع الاجماع على شيءٍ منها وآخر ما مال اليهِ الباحثون في هذا الغرض ان تؤلف لغةٌ مختلطة من الفرنسوية والانكليزية لِما انهما اكثر اللغات انتشاراً في الارض وهو ما يتذاكرون فيهِ اليوم ولعلهم لا يفلحون فيهِ الا بعد زمنٍ طويلٍ والله اعلم

القاهرة — بينما كنت اطالع في معجم الجزويت المسمى باقرب الموارد عثرت في مادة (ع ق ل) على العبارة الآتية ارويها لكم بالحرف « العقَل محركةً اصطكاك الركبتين او التوآء في الرجل واتساع كبير العرقوبين » اهـ . فلم افهم معنى قولهِ « اتساع كبير العرقوبين » وبعد ان اطلت التأمل في معنى هذه العبارة على غير طائل رجعت الى الكتاب نفسهِ استفتيهِ في ذلك ففتحت مادة (ع ر ق ب) لعلي اجد في تفسير العرقوب ما يرشدني الى المراد فوجدتهُ يقول « العرقوب عصب غليظ موتَّر فوق عقب الانسان ومن الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها » اهـ . فما زادني هذا النصّ الا ابهاماً وحيرةً ولذلك جئت استنير بأشعة ضيآئكم راجياً كشف الستار عن هذا المعمى ولكم الفضل عوض يوسف

الجواب — هذا من المعميات التي لم يكن بودّنا كشف الستار عنها لولا ان العلم امانةٌ لا يجوز كتمها ولا تبديلها وأن للسائل حقاً على المسؤول لا يخرج منهُ الا بالجواب وكأنا بالمؤلف اذا وقف على سؤالكم هذا ثم وقف على ما وراءهُ من البيان سيستعيذ بالله وينشد بلسان حالهِ قول الشاعر

ما يريد الناسُ منّا ما يكفّ الناسُ عنّا

انما همهمُ أن ينبشوا ما قد دفنا

تقدم لنا في غير موضع(١) عند ذكر هذا الكتاب انهُ ليس الاّ نسخةً عن محيط المحيط للطيب الذكر المعلم بطرس البستاني الا ان الناسخ لم يحسن النسخ فمسخ عبارة الاصل تارةً سهواً وتارةً عمداً وقد اجتمع لهُ الامران هنا كما سنوضحهُ . وذلك ان اصل العبارة في محيط المحيط بهذه الصورة

« العَقَل اصطكاك الركبتين او التوآء في الرجل واتساعٌ كبير قال ابن السكيت هو ان يفرط الرَوَح حتى يصطك العرقوبان وهو مذموم » اه

فقولهُ « قال ابن السكيت » الى قولهِ « يصطك » ساقط من النسخة الجزويتية وهو في محيط المحيط سطر كامل ولأمرٍ ما ضرب الله على بصر المؤلف فزلّ عن هذا السطر الى الذي يليهِ فوقع قولهُ « العرقوبان » بعد قولهِ « كبير » وجآءت صورة العبارة « اتساعٌ كبير العرقوبان » . ونزيدكم هنا ان المؤلف من البارعين في علم النحو فلم يخفَ عليهِ ان « العرقوبان » هكذا بالالف غلط لانهُ بعد هذا المسخ جآء في صورة المضاف اليهِ ولا بدّ ان يكون رأى ان البستاني رحمهُ الله قد غلط في هذه اللفظة فحوّلها من صورة الرفع الى صورة الجرّ فصار لفظ العبارة « اتساعٌ كبير العرقوبين »

فهل من ينكر بعد هذا تسمية مثل هذا المؤلف بالعلاّمة الجهبذ اللغويّ كما تسميّهِ مجلة المشرق ثم هل من ينكر على اصحابها الجزويت انهم معدن العلم ومصدر الصدق .....

(١) ضيآء تهذه السنة ص ٢١١ والبيان ص ١٨٤

فكاهات

رواية

كشف المغطى

كان في المانيا رجلٌ يقال لهُ هورنشتَين دأب منذ صغرهِ في الاشغال التجارية فما بلغ السنة الاربعين من عمره حتى عظمت ثروتهُ واتسع نطاق شغلهِ واصبح محلهُ من اشهر المحلات التجارية في برلين . وتزوج في صغرهِ فرزقهُ الله ابنًا وابنةً عكف على تربيتهما وتهذيب اخلاقهما فما بلغ ابنهُ اشدّهُ حتى الحقهُ بمحلهِ التجاري وعين لهُ عملاً فيهِ كباقي المستخدمين والكتاب. اما الابنة واسمها اماليا فعادت بعد انتهآء ايامها المدرسية الى بيت والدها لا ينازعها في جمالها منازع ولا تفوقها في آدابها كريمةٌ من كرائم السراة والوجهآء وفوّض اليها والداها مهام المنزل وترتيبهُ فكانت في ذلك القصر العظيم ملكةً مستقلة الحكم لا يفوتها شيءٌ من الحكمة والذوق في جودة التدبير وحسن الترتيب وارضآء كل من اتصل بالبيت داخلاً وخارجاً فاعجب بها الزائرون واحبها الخدام وكانت اوامرها لا تراجع وحكمها لا يخالف . اما الولد واسمهُ غستاف فصادف في ادارة ابيهِ شغلاً قليلاً ومالاً كثيرًا فعكف على القصف واللهو والاسراف وكانت حياتهُ كحياة اولاد الاشراف الاغنيآء ....

وكان في ادارة هورنشتين من جملة الكتاب فتى حلو الشمائل رقيق العواطف بهيّ الطلعة اسمهُ هرمان وكان على اعظم جانب من الذكآء وحسن التصرف فاحبهُ هورنشتين ومال اليهِ فجعل يرقيهِ وعزم على جعلهِ شريكاً لهُ في تلك التجارة

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الواسعة . وكان لهرمان اختٌ اسمها هنريت لا تنحطّ عنهُ في الجمال وطيب الخصال فاحبها غستاف وعزم على الاقتران بها فوافق عزمهُ رضى والديهِ وسرور هرمان لان هذا ايضاً قد طمح بصرهُ الى اماليا بنت هورنشتين فعزم على مبادلة شقيقتهِ بها وكان هذا ما تودّهُ اماليا ايضاً فصار من المقرر ان يجري كل ذلك على حسب افكار هؤلاَء الاشخاص المتفقة

اما محبة غستاف لهنريت فلم تكن لتمنعهُ في اوقات فراغهِ من مغازلة الحسان والتزلف الى غيرها من السيدات اللواتي يصيدهنّ بجمال جمالهِ ومالهِ وكان في اثناَء خطبتهِ لهنريت قد علق بسيدةٍ ذات بعلٍ تدعى مدام ليوبولد وزوجها من عمال املاك ابيهِ غير انها كانت امينةً لزوجها محافظةً على عفافها فلم تملك غستاف منها ولا اقلّ اشارة تدلّ على رضاها منهُ . وكانت كلما اظهرت لهُ الجفاَء والصدّ وردعتهُ عن مقاصدهِ السيئة لا يزداد الا هياماً بها وتذللاً لها فلا يصادف منها الا النفور والاعراض . ولما يئس منها عمد الى الكيد فنقل الى زوجها كلاماً كثيراً في حق زوجتهِ واحتال عليهِ بطرقهِ الشيطانية حتى اوغر صدرهُ عليها وتاكد فيها الخيانة فتركها يوماً وسافر الى حيث لم يدرِ احد ومضت عليهِ مدة طويلة لم يسمع احدٌ بخبرهِ ولم يأتِ البحث عنهُ بفائدة فظن بعضهم انهُ انتحر من شدة غيظهِ وقال غيرهم انهُ سافر الى معادن الذهب . ولبثت مدام ليوبولد بعد غياب زوجها محافظةً على كرامتها مقيمةً على ما عهد بها من العفة والصيانة ولما لم يكن لها شيء من الدخل ولا مال لديها جعلت تبيع من اثاث بيتها وتنفق بمنتهى الحرص والتقتير . واغتنم غستاف هذه الفرصة فكان يأتيها اليوم بعد الآخر ويعرض عليها المبالغ الباهظة من امواله فترفضها بمعظم الانفة والاحتقار . ولما سئمت من ترددهِ اليها وقطعت املها من رجوع زوجها ولم يعد عندها شيء من المال تركت هي ايضاً بيتها وسافرت مع طفلها الى بلدةٍ اخرى فاقامت مرضعةً عند بعض السراة

وكانت مدام ليوبولد تغرس في رأس طفلها العلوم الابتدآئية واصول العقائد الدينية فنشأ كما نشأت والدتهُ على امتن القواعد الادبية . ولما شبّ اطلعتهُ على

وقائع حياتها وما اوصلهما الى هذه الحالة فتفتت قلب الفتى كمداً واضمر لغستاف الشرّ ولما رأت والدتهُ منهُ ذلك جعلت تخفف عليهِ وتوصيهِ ان لا يفكر البتة في امر الانتقام اذ الانتقام لله . وكان هرمان قد علم بما وصلت اليهِ حال مدام ليوبولد من الفاقة ونفاد ما عندها وعلم ان ما تحصلهُ من الدخل القليل لا يكفي لنفقاتها ونفقات ولدها المدرسية فكان يرسل اليها من وقت الى آخر ما تستعين بهِ وكانت هي تشعر بفضلهِ وتعتقد من جميلهِ ما لا تنساهُ

وجآء اليوم المعين لزفاف هنريت الى غستاف فزُينت دار هورنشتين بابهى مظاهر الزينة واحتُفل فيها باقامة وليمة عظيمة دُعي اليها العدد الغفير من الاصدقآء والاعيان وكان ميعاد حفلة الاكليل في ذلك المسآء . اما هرمان اخو العروس فكان مسافرًا في شغل يختص بالمحل ويُنتظر رجوعهُ في قطار المسآء . فلما خيم الظلام أُوقدت المصابيح وتألقت الانوار واستكملت اسباب السرور واذا بصفير القطار يبشر بقدومهِ يقلّ هرمان . غير انهُ ما كاد القطار يبلغ المحطة حتى دوى من جهتهِ صوتٌ كالرعد القاصف ثم تلاهُ صراخٌ يصمّ الآذان فوقف كل من كانوا في دار العرس يتسآءلون عن ذلك الصوت والصياح . وبعد بضع دقائق جآء القصر فتى واخبرهم ان القطار عند بلوغهِ المحطة اصطدم بقطارٍ آخر كان خارجاً منها وكان الاصطدام عنيفاً جدًّا فتكسرت العربات وتحطمت العجلات ولم يعلم بعد عدد القتلى والجرحى . فما سمع اهل البيت هذا الخبر حتى هرعوا الى محل الحادثة فرأوا منظرًا يفتت الاكباد فدمآء تسيل واشخاصٌ تئنّ من الالم وارواحٌ تتسابق الى حضرة خالقها . اما هرمان فوجدوهُ في عربة ملطخاً بالدم وقد اصابتهُ جراحٌ عديدة فحملوهُ الى بيت هورنشتين واستدعوا للحال نطس الاطبآء للاعتنآء بهِ . ولما لم يكن بدٌّ من قران غستاف عُقد لهُ في تلك الليلة على هنريت بمنتهى البساطة والسكوت واهملوا ما كانوا رتبوهُ من دواعي المسرات بسبب تلك الحادثة المؤلمة وعلى الخصوص لما اصاب هرمان اخا العروس

اما هرمان فبقي اليوم الاول والثاني في آلامٍ مبرحة ثم تسلطت عليهِ حمى

شديدة هال الاطباَء امرها وافرغوا جهدهم في معالجتها فلم تنجح علاجاتهم وتقرر اخيرًا قطع الامل من شفاَئهِ . ولما انتشرت هذه الحقيقة انقلبت هيئة ذلك البيت وجعل الجميع يندبون شباب تلك الزهرة النضيرة ولا سيما حبيبتهُ اماليا وشقيقتهُ هنريت فلم تفارقا سريرهُ وهما تتناوبان السهر عليهِ وتمريضهُ حسب اشارة الاطباَء وتتمنيان ان يكون في وسعهما اطالة الدقائق الباقية من حياتهِ ولو بخسارتهما اياها من حياتهما

وحدث في ذلك الحين ان اشترى بعض التجار من محل هورنشتين املاكاً بقيمة عشرين الف ليرة ولما تم عقد البيع وطُلب المال من المشترين اظهروا وصلاً بتوقيع المحل يفيد ان القيمة قد دُفعت. فنزل هذا الخبر على رئيس المحل كنزول الصاعقة ووقعت الحيرة على كل من كان في المحل من المستخدمين والكتاب واخذوا يتساَءلون عمن استلم هذا المبلغ لانهُ لم يصل الى الصندوق . وفي اثناَء ذلك بينما كان هرمان ملقىً على سرير احتضارهِ دخل عليهِ غستاف بوجهٍ اصفر وهيئة مضطربة فطلب الى زوجتهِ وشقيقتهِ ان تغادرا الغرفة هنيهةً ولما بقي وحدهُ مع المحتضَر جثا بالقرب من سريرهِ وقال لهُ يا عزيزي هرمان اخبرك بكل اسف ان الاطباَء قد قطعت الامل من حياتك وانهُ ليعزّ عليّ جدًّا ان ينالك سوء غير انهُ اذا كان هذا الذي سيقع ولا مردّ لقضاَء الله فقد جئتك متوسلاً اليك في امرٍ يهمني جدًّا وانا على ثقةٍ انك لا تبخل عليّ بهِ . فاعلم ان والدي قد خصص لي مبلغاً معيناً اتقاضاهُ من المحل في نهاية كل شهر ولما كان هذا المبلغ غير كافٍ لبعض النفقات التي اضطررت اليها فقد أُلجئت الى استدانة ما احتاج اليهِ من محل فنك وانا لا ادري كيف او متى اتمكن من وفاَئهِ. وقد جاَء فنك في هذين اليومين يشتري الاملاك التي تعهدها وسألني ان أفيهُ المبلغ الذي استدنتهُ منهُ فزورت لهُ وصلاً بتوقيع المحل بقيمة العشرين الف ليرة التي هي ثمن الاملاك المذكورة واخذت منهُ بقية الثمن. ولا حاجة ان اقول لك انهُ متى علم والدي بالواقع فسيطردني من بيتهِ بدون شك اذا لم يسلمني الى القضاَء وسابقى مع زوجتي في حالة الضنك الشديد

وانت تعلم النتيجة . ولما علمت انك انت مائتٌ لا محالة قصدت فضلك ايها الاخ الصادق لتوافقني على القآء التبعة عليك فانك اذا مت لا يقدر احدٌ ان يوصل اليك اذيةً ما ولا يهمك اذ ذاك كلام البشر واني اعدك وعد صادقٍ انني بعد ان يتناسى هذا الخبر اترقب الفرص لازالة ما سيعلق بافكار الناس من جهتك واعيد اسمك الى ما هو عليهِ من الكرامة والاحترام

وكان غستاف يتكلم وهو يتضرع الى هرمان ان لا يصدّهُ فتأثر ذاك ولما ايقن انهُ مائتٌ ولا يضرّهُ من هذا الامر سوى اهانة اسمهِ عزم ان يبذل كرامتهُ لانقاذ زوج شقيقتهِ وشقيق حبيبتهِ وما اجاب بالايجاب حتى ابرقت اسرّة غستاف ونهض الى هرمان يقبل يديهِ ورجليهِ ثم اخرج من جيبهِ رقعةً كتب فيها ما يأتي « انني انا استلمت من محل فنك مبلغ العشرين الف ليرة ثمن الاملاك المشتراة من محل هورنشتين واذ كنت في حاجةٍ الى هذا المبلغ لم اوردهُ الى المحل فلا يُتهم غيري بهذا الامر . اما المال فلا سبيل الى ردّهِ واما قصاصي فقد نلتهُ عاجلاً بما وقع عليَّ من القضآء وانا استغفر الله عن ذنبي وارجو من اصحاب الشأن الصفح عما فعلت » . ثم قدم الرقعة الى هرمان واعطاهُ قلماً ليوقع عليها فاخذ هرمان القلم وتوقف هنيهةً ثم وقع عليها ودفعها الى غستاف وحوّل وجههُ الى الحائط

وما صدق غستاف ان اخذ هذه الورقة حتى خرج من الغرفة وتوجه توًّا الى المحل فرأى والدهُ يوالي البحث والتدقيق فاستدعاهُ الى جانب واخبرهُ ان الفاعل هو هرمان واراهُ الورقة التي وقع عليها ذاك وهو يعتقد انهُ لا يعود الى البيت الا ويكون هرمان قد فارق الحياة فيبقى سرّهُ محفوظًا الى الابد . ولما تحقق هورنشتين الامر كاد يفقد عقلهُ لشدة تأثرهِ وعلى الخصوص لانهُ كان يودّ هرمان جدًّا ويعجب باستقامتهِ ويروم مشاركتهُ . فامر اذ ذاك بكتمان الامر وسدل على ما حدث حجاب النسيان

ولم يمت هرمان كما تنبأ الاطبآء ففي اليوم الثاني هبطت درجة الحمى واخذت صحتهُ تتقوى شيئًا فشيئًا حتى نقه تمامًا وهو في تلك المدة لم يدرِ شيئًا عما جرى في

محل هورنشتين سوى ما ذكرهُ غستاف . فلما اذن لهُ الطبيب في الخروج من غرفتهِ استدعاهُ هورنشتين سرًّا وعنفهُ شديدًا على اخذهِ ذلك المبلغ وقال لهُ انني قد تجاوزت الحدّ في ثقتي بك فسلمت اليك جميع اشغالي ولم يخطر لي قط انك تخونني هذه الخيانة . وبما انهُ قد كان بيني وبين والدك صداقة اكيدة فلاجلهِ لا اسلمك الى الحكومة ولا اكافئك بشيء سوى الطرد من خدمتي فمن الآن تغادر هذا المحل واياك ان تريني وجهك من بعد . وخطر لهرمان ان يبرئ نفسهُ فورًا ويقص على هورنشتين ما فعلهُ ابنهُ غستاف ولكنهُ راجع نفسهُ وَابقى الامر مكتومًا اعتمادًا على وعد غستاف وانهُ لا بد ان تنجلي الحقيقة عن قريب ويعود الى مركزهِ السابق . فغادر المحل وقد ترك فيهِ قلبهُ وفي صدرهِ نارٌ احرُّ نار الجحيم ابردها . ولم يكن هرمان من المثرين فجعل يسعى في وجود شغلٍ في محلاتٍ اخرى ولكنهُ كان لا يقابل الا بالرفض والاعراض لان غستاف لما شفي هرمان خشي ان يبوح بما كان منهُ ويكشف عنهُ قناع ردآءتهِ فكان يسبقهُ الى كل محل ويرميهِ بكل قبيح من التهم ويجتهد في اسقاطهِ وسدّ ابواب الرجآء في وجههِ ليغادر البلاد ويتخلص من شرهِ

وكانت مدام ليوبولد تربي ولدها بما تحصلهُ بعرق جبينها وما يساعدها بهِ هرمان فلما اصابتهُ هذه الحادثة تأخر عن مساعدتها فاخرجت ولدها من المدرسة وكان قد صار شابًّا ولما رأى الولد ضيقة والدتهِ استأذنها ان يسافر الى كلنديك حيث معادن الذهب لعلهُ يصيب شيئًا يهيئ لهُ سبيل المعيشة مع والدتهِ فقبلت والدتهُ بعد التردد الشديد وسافر الغلام على بركات الله

وبعد مضي عشر سنوات على آخر هذه الحوادث جآء البلدة رجلٌ قيل انهُ اميركاني ومعهُ ابنهُ الوحيد وهو شابٌ في الخامسة والعشرين من عمرهِ . فتعاطى في البلدة تجارةً من نوع اشغال هورنشتين وبحث عن هرمان فوكلهُ على اعمالهِ رغمًا عن سعي غستاف لدى هذا الغريب في ابعاد هرمان وحرمانهِ . وكان هذا المحل يتقدم تقدمًا سريعًا على عكس محل هورنشتين الذي اخذ في التأخر واصبح على

شفير الخراب

وتعرف الرجل الاميركاني بهورنشتين فاخذا يبحثان في شؤون التجارة والشغل وافضيا الى ذكر العمال والحسابات وما شاكلها فقص هورنشتين على الاميركاني انهُ وثق يوماً باعز عمالهِ وسلم اليهِ اشغالهُ فخانهُ وسرق منهُ اموالاً بقيمة عشرين الف ليرة وان اسم هذا الكاتب هرمان . فاظهر الاميركاني التعجب وقال ان الرجل نفسهُ مستخدم عندي وقد فوضت الى عهدتهِ جميع اشغالي ولا اعرف فيهِ سوى الحزم والاجتهاد في العمل والاستقامة والامانة التامة ولا يمكنني تصديق هذه التهمة عنهُ . قال هورنشتين وانا ما كنت لاصدق لو لم ارَ بعيني إعترافهُ خطّاً وهو على سرير الموت . قال الاميركاني وهل فحصت دفاترك بعد طردهِ فوجدتها خالية من التلاعب. قال لا ولكني واثقٌ بصحتها لاني سلمتها بعد هرمان الى ولدي الوحيد . قال أتأذن لي ان اراجعها معك حتى نتحقق بواطن هذا الامر ونحيط بكل اسرارهِ فاجابهُ هورنشتين بالايجاب وفي اليوم الثاني اجتمع الاثنان واخذا يطالعان دفاتر المحل ويراجعان قيودهُ فما عتم الاميركاني ان وجد مواضع عديدة في القيود حصل فيها تلاعب وسرق بواسطتها مبالغ جسيمة . فوقف هورنشتين كالمبهوت وقد اكفهرّ لونهُ ولم يملك عبرتهُ وقال يا رباه افي كل يوم ارى مثل هذه الحوادث التي عاقبتها ذهاب مالي وخسران اسمي حتى لا يبقى لي شيءٌ اورّثهُ لولدي بعد وفاتي . فتبسم الاميركاني وقال اذا كان هذا خوفك فكن براحة بال فان هذه الاموال المسروقة لم تذهب الا الى جيب ولدك كما ذهبت قبلها العشرون الف ليرة التي اتهم بها هرمان ظلماً . ثم قص على هورنشتين ما جرى بين غستاف وهرمان واخبرهُ كيف كان يجتهد غستاف في اخفآء الامر وتضييق الطرق على هرمان ليضطرهُ الى مغادرة البلاد . فجحظت عينا ذلك الوالد المسكين وقال لهُ ومن اين علمت ذلك وانت غريب . قال انا لست غريباً ولكني ممن وصلت اليهم اذية ولدك . انا خادمك ليوبولد وقد بلغ من مكر ولدك بي ان القى الشقاق بيني و بين زوجتي تلك الملك الطاهر والجأني ان اعرّض نفسي للهلكة في بلادٍ بعيدة ولكن الله استقبلني وفتح عليَّ

ابواب الخير فأصبت ار باحاً وافرة في مناجم الذهب و بلغت ثروتي الملايين العديدة وكنت قد آليت على نفسي ان لا ارجع الى هنا لو لم يسق الله اليَّ ولدي الوحيد. وقد علمت منهُ ما كشف الغشآء عن عينيَّ فرجعت اكفّر عن ذنبي لدى تلك الزوجة المسكينة وازيل الحجاب عن الحقيقة التي يسترها ابنك بمكرهِ واحتيالهِ

ولما وضح الامر للمستر هورنشتين اصابتهُ نوبة عصبية فسقط الى الارض مغمىً عليهِ . ولما افاق نقلوهُ الى بيتهِ واسرعوا في مداواتهِ . و بعد ذلك طلب هورنشتين ولدهُ غستاف و بعد التهديد والوعيد اقرّ الشاب الجاهل بما فعل

ثم استدعى هورنشتين هرمان فجثا امامهُ طالباً منهُ الصفح بكلام يذيب الجلمود وهرمان لا يدري ما السبب الموجب لذلك واذا بالمستر ليو بلد داخلٌ بناءً على طلب المستر هورنشتين فعرَّفهُ بهرمان وقال لهُ ليوبولد انهُ جعلهُ شريكهُ في مالهِ وتجارتهِ مقابل احسانهِ الى زوجتهِ في غيابهِ . ففرحت هنريت برجوع اخيها واعادة كرامتهِ كما فرحت اماليا برجوع خطيبها وكانت قد حرّمت على نفسها الزواج بعدهُ . وبحث ليوبولد عن زوجتهِ حتى اهتدى اليها فكانت بينهما مقابلة يعجز القلم عن وصفها انجلت عن صفح تلك المرأة الشريفة القلب عن هفوات زوجها وعادت اليهِ والى ولدها فاستأنفا حياةً جديدة طيبة انستهما مرارة الماضي . واقترن هرمان باماليا فعادت المسرات الى احسن مما كان قبل حلول هذه النكبات

اما غستاف فبعد ان عنفهُ والدهُ تعنيفاً شديداً قال لهُ كان الاولى ان اسلمك الى المحاكم واطلب حكمها عليك بالاشغال الشاقة جزآء ما جنتهُ يداك ولكني اشفق لا عليك بل على هذه الفتاة التي ساقها سوء بختها ان تكون زوجة لك . فها انا أُ بينك بجزء من مالي فخذهُ واذهب حيث شئت ولكن لا يكن لك بعد معي مداخلة البتة . اما ميراثي فاهبهُ لابنتي اماليا عسى ان تكفر بتقديمهِ الى زوجها الامين عن سيئاتي وسيئاتك اليهِ . انتهى